الموارد الاقتصادية ودورها التجاري بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في العصر الوسيط

فتحي علي مخزوم احجيبة[1]

كلية التربية – جامعة مصراتة

تاريخ التقديم: 18-09-2019 ، تاريخ القبول: 03-11- 2019، نشر إلكترونيا في 08-11-2019

https://doi.org/10.36602/faj.2019.n14.06

ملخص البحث:

تعني الموارد الاقتصادية المواد الخام والسلع والصناعات التي يعتمد عليها الإنسان في حياته المعيشية، والتبادل النفعي مع غيره، وبالتالي جاءت الدراسة للتعريف بأهم الخامات والصناعات التي كانت تزخر بها المنطقة، وأهم المسالك الصحراوية التي تربط بين المدن التجارية، وأهمية السلع المتاجر بها في العصر الوسيط؛ بينت نتائج الدراسة مدى اهتمام المغاربة بالحركة التجارية فسوقوا صناعاتهم، واستفادوا من المواد الخام التي تزخر بها بلاد السودان، فكانوا حلقة وصل بين الخامات الأفريقية، والتجارة الخارجية مع بلاد المشرق الإسلامي ودول حوض البحر المتوسط.

الكلمات المفتاحية: *إقليمي المغرب والسودان– المسالك الصحراوية–التبادل التجاري*

[1]famtml@gmail.com

ISSN 2664-1682

ECONOMIC RESOURCES AND THEIR COMMERCIAL ROLE BETWEEN THE MOROCCO AND WESTERN SUDAN IN THE MIDDLE AGES

Fathi Ali Makhzoum Ehjaiba

Faculty of Education - Misurata University

Abstract

Economic resources are raw materials and commodities Thus, the study came to identify the most important raw materials and manufactures that were abundant in the region, the most important desert routes linking commercial cities, and the importance of the goods traded in the middle Ages.The results of the study showed the extent of interest of Moroccans in the trade movement. They marketed their industries and benefited from the raw materials abounding in the countries of Sudan. They were a link between African raw materials and foreign trade with the levant and Mediterranean countries.

Keywords*: Morocco and sudan ,Desert tract, the trade exchange*.

1. المقدمة:

لم يقف لهيب الصحراء وزمهريرها وشح مياهها ونذرتها أمام قوافل المغاربة التجارية في الغدو والرواح إلى المدن السودانية جنوب الصحراء الكبرى في غرب إفريقيا، فكانت التجارة سببا في ثراء كثيرين منهم على الرغم من مشاقها ومخاطرها، فهي الموفر الأساسي للسلع بين الإقليمين المتجاورين؛ تنوعت السلع واختلفت مصادرها والكيفية التي تمت المتاجرة بها، فلم تكن النقود الوسيلة الوحيدة في التعامل التجاري، ولم تقف حائلاً دون ذلك، فكانت عملية المقايضة (التبادل السلعي) لا يقل أهمية عنها.

ISSN 2664-1682

كان من أشهر السلع التجارية الرائجة في العصر الوسيط[1]معدني الملح والذهب؛ فكلاهما عصب الاقتصاد في المنطقة، إضافة إلى سلع وصناعات امتهنها المغاربة أو قاموا باستيرادها، مقابل خامات كانت تجود بها بلاد السودان، فكانت التجارة هي تواصل حضاري ثقافي بين الإقليمين المتجاورين.

تكمن مشكلة البحث في التعريف بمقدار التعامل التجاري وأهميته بالنسبة للازدهار الإقتصادي بين الإقليمين المتجاورين، وبهذا اعتمد البحث على عدة فرضيات تتمثل في مجموعة تساؤلات منها مامقدار الإتصال التجاري، وماهي أهم السلع المتاجر بها، وما أهم المسالك و المراكز التجارية؟ وغيرها بما يخص الإقليمين المتجاورين.

إن الهدف من الدراسة هو توضيح مقدار التعامل التجاري بين الإقليمين المتجاورين، وتنوع السلع فيهما، ومساهمتهما في التجارة الإقليمية والخارجية (الدولية) لما يتمتع به الإقليمان من خامات وصناعات مهمة، لها وزن عالمي؛ قام المغاربة بالمتاجرة بها وإظهارها عالميا عبر محطاتهم الصحراوية ومرافئهم البحرية، بالتالي تكمن أهمية الموضوع في إعطاء صورة واضحة عن مقدار التبادل التجاري، وأهم السلع التجارية المعروضة، وأهميتها في التقارب التجاري على صعيد شمال إفريقيا وحوض البحر المتوسط. هذا ولقد اعتمد البحث على عدة دراسات سابقة استفاد منها الباحث بما يخص الموضوع، وإضافة كل ما هو جديد من خلال المصادر الأولية التي تعني بكلا الإقليمين المتجاورين.

2. المنهج المتبع:

اتبع في الدراسة المنهج الوصفي،وهو منهج للوصف بطريقة علمية ،وقد كان له صورة واضحة للحركة التجارية التي عايشتها المنطقة في فترة زمنية.

[1] - تسمية تطلق غالباً على الفترة الزمنية من القرن الخامس حتى القرن الخامس عشر ميلادي.

ISSN 2664-1682

3. أصل التسمية لإقليمي المغرب الإسلامي والسودان الغربي :

تعني كلمة غرب في اللغة اتجاه غروب الشمس فيقال " غَرَبَت الشّمسُ تغْرُبُ غروباً: بَعُدَتْ وتوارت في مغيبها "، وتعني الغربة فيقال " وغَرُب الشخص بالضم غرابةً بَعُد عن وطنه " (المقري، 2008 م، ص276).

حدد الجغرافيون إقليم المغرب الإسلامي بأنه كل البلاد الإسلامية الممتدة من برقة على حدود مصر الغربية حتى ساحل المحيط الأطلسي، وهو إقليم ينحصر ما بين البحر المتوسط شمالاً والصحراء الأفريقية الكبرى أو بحر الرمال جنوباً، وينقسم الإقليم إلى ثلاثة أقسام أدنى وأوسط وأقصى (مؤنس، د.ت، ص ص26-27)، فالمغرب الأقصى هي المنطقة المحصورة بين المغرب الأوسط شرقاً، والبحر المتوسط شمالاً والمحيط الأطلسي غرباً، والصحراء الكبرى جنوباً (سالم، 1999 م، ص ص42-46).

وتعنى كلمة السودان وصفاً لذوى الجلدة السوداء (أبو القاسم، 2016م، ص3)، والذين ينسبون إلى حام بن نوح –عليه السلام– (ابن الجوزي، 1998 م، ص34)، وهم أقوام يسكنون جنوب الحزام الصحراوي الفاصل بين شمال أفريقيا ووسطها، وهي بلاد كبيرةشاسعة ينتهي شمالها بأرض البربر، وجنوبها إلي البراري، وشرقها إلي بلاد الحبشة، وغربهايصل إلي البحر المحيط –المحيط الأطلسي– (القزويني، 1998م، ص24).

قسمت بلاد السودان إلي ثلاثة أقاليم، شرقي وأوسط وغربي، فغرب أفريقيا هو ما كان يعرف ببلاد السودان الغربي ؛والمحدد جغرافياً بين الصحراء الكبرى شمالاً، وحدود تشاد في الشرق، وجبال الكميرون في الجنوب الشرقي، بينما المحيط الأطلسي يحيط بالمنطقة من الجهتين الجنوبية والغربية، وأشهر دول المنطقة (بوركينا فاسو– غامبيا– غانا– سيراليون– الكونغو– السنغال– موريتانيا–النيجر–تشاد) (باري، 2007 م، ص64)، والملحق رقم (1) يوضح أقاليم السودان وشبكة الطرق الواصلة بينه وبين شمال أفريقيا.

ISSN 2664-1682

4. أهم المسالك الصحراوية:

كان الترحال عبر الصحراء يتم عادة في قوافل من الإبل، وكانت القافلة وكأنها تجمع سكاني متحرك، أو شبكة إجتماعية متكاملة، فيها المؤذن، والإمام، والفقيه، والقاضي، والإدلاء، والحراس، والتجار، والسياح، والحجاج، والرقيق، والمتسكعون تحت قيادة واحدة (بلاغ، 2014، ص. 126).

تعد مدينة سجلماسة المغربية واحة غناء تزخر بأشجار النخيل،ومركزاً لتجمع القوافل المغربية المنطلقة إلى بلاد السودان؛ فكان ثمارها ومياهها قوتاً لقاطعي تلك المسالك المارة في الفيافي والقفار القاحلة قليلة المياه، المتعذرة المراعي شديدة الحرارة، والتي عُدت فاصلاً طبيعياً بين الإقليمين المتجاورين (الساهري، 2011 م، ص118).

كانت الصحاري تقطع بمعرفة دليل يكتريه رواد القافلة حتى لا يضيعون في متاهات الفيافي المقفرة، وقد ذكر ابن بطوطة في رحلته أنهم اكتروا دليلاً حاذقاً في دروب الصحراء، ومكشفاً من قبيلة مسوفة[1]، مهمته إعلام الواحات التالية بوصول القافلة واستقبالها بالماء واكتراء الدور لروادها (ابن بطوطة، 2003 م، ص ص368-369).

اهتم المغاربة بالطرق التجارية واستكشافها، وقد تكون رحلة ابن بطوطة للسودان الغربي عبارة عن رحلة علمية لدراسة الطرق التجارية الرابطة بين الدولة المرينية ومملكة مالي، والوقوف على حجم التأثير المصري على التجارة المغربية (الحريري، 1987، ص223)، ومن أشهر تلك الطرق:

أ) الطريق الساحلي:

وهو طريق محاذي لشاطئ المحيط الأطلسي، يعد أقدمها،وأكثرها استعمالاً حتى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي (علوي، 1990 م، ص228)، والملحق رقم (2) يوضح خط سير ذلك الطريق.

[1]مسوفة: قبيلة بربرية أمازيغية تسكن في مدينتي سجلماسة وأودغست وعلى الطريق الواصل بين المغرب الأقصى والسودان الغربي، اشتهرت بالقوة والفروسية ومعرفة الدروب الصحراوية (ابن حوقل، 1992 م ، ص98).

ISSN 2664-1682

ب) طريق وادي درعة– غانا:

يقع شرق الطريق الساحلي، يخرج من سجلماسة ماراً بدرعة، ويتجه جنوباً نحو أُودغست[1]، ثم غانا (علوي، 1990 م، ص232)، والملحق رقم(3) يوضح ذلك الطريق.

ج) طريق سجلماسة –غانا:

وهو أكثر الطرق أهمية خلال العصر الوسيط، بلغت أهميته منذ القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي، وذلك بعد اكتشاف ملاحة تغازى[تاتنتال] (علوي، 1990م، ص235)، والملحق رقم (4) يوضح هذا الطريق.

د) طريق تلمسان وفاس– توات– والواصل إلي تنبكتو (بلا غ،2014م،ص109).

هـ) طريق غدامس– أودغست وغانا (بلا غ، 2014م، ص109).

والملحقان (5 و6) يوضحا تلك الطُرُق التجارية.

5– التبادل التجاري بين الإقليمين المتجاورين:

إن التعامل النقدي هو تطور طبيعي للتعامل التجاري، واستُخدِم في ذلك عادة العملات المعدنية – المسكوكات[2]– المصنوعة من الذهب، والفضة، والنحاس، والحديد، فهي المحرك الاقتصادي للعملية التجارية،وكان أشهرها المسكوكات الذهبية؛ التي عرفت بالمثقال الذهبي[3]، إضافة إلى قطع التبر[4]، وقطع الملح والودع[5] (شترة، 2016 م، ص44)،

[1]أودغست: مدينة كبيرة على الطريق الواصل بين المغرب والسودان الغربي، تشتهر بالزراعة والتجارة والتنوع السكاني (مجهول، 1985 م، ص215).

[2]المسكوكات: جمع سكة، وهي ضرب النقود المعدنية بالمطرقة لوضع نقوشاً عليها بواسطة خاتم حديدي معد لذلك (ابن خلدون 2005م، ص181).

[3]المثقال الذهبي: هو الدينار الذهبي الذي اتفق جمهور العلماء بأنه يساوي 4.25 جراماً (جمعة، 2009م، ص9).

[4]التبر: هو الذهب غير المضروب، وذكر أنه الذهب والفضة غير مصبوغ. (المقري، 2008م ، ص50).

[5] الودع: هو صدف البحر جلبه المغاربة إلى بلاد السودان من الهند، واستعمل في الحُليّ والعملة (الفوتي، 2018م ، ص40 ؛ عبد ، 2010م ، ص52).

ISSN 2664-1682

ودنانير تعرف بالصلع صنعت من الذهب الغير مسكوك (البكري، 1992 م، ج2 ص880).

واستخدمت المكاييل والموازين في التعامل التجاري، ، وقد ذكر البكري أنه في مدينة سجلماسة كان الناس يكيلون بالمد[1] وهو يساوي خمسة وسبعين ألف حبة قمحاً، وذكر أيضاً القنقل والزلافة بقوله: " ومديهم إثنا عشر قنقلا، والقنقل ثماني زلافات، والزلافة ثمانية أمداد بمد النبي صلى الله عليه وسلم " (البكري، 1992م، ج2 ص240)، بالإضافة إلى المد استخدم الصاع[2] والوسق؛ والوسق يساوي ستون صاعاً (القلقشندي، 1915 م، ج5 ص158)، وعرفت الأوزان، فاستعملوا الأوقية[3] والمثقال والرطل والقنطار[4]، والقنطار مقداره مائة رطل (الحريري، 1987 م، ص296؛ شرفي، 2015م، ص23).

واتخذت كافة التساهيل التجارية ، ومنها ما يُعرف بـ{الوكالة التجارية}، وهي عملية تجارية يتولاها تاجر حُر أو عبد [رقيق]، يكون مسئولاً على جزء من البضائع في القافلة لتاجر أو مجموعة من التجار، مقابل حصة من الأرباح أو أجر متعارفٌ عليه، وهناك طريقة تجارية أخرى تعرف بـ {المقارضة} وفيها يعهد صاحب المال لشخص آخر بالاتجار بأمواله مقابل شروط في الربح والخسارة يتفقان عليها (الختلان، 1992م، ص57).

ومن التساهيل التجارية الأخرى حرفة الصرافة، والتي تتم باستخدام الصكوك النقدية، وهي عملية تجارية تحفظ فيها الأموال، وتسهل بين المتعاملين، يستلم فيها التاجر أمواله من مكان الصيرفة؛ وهو مكان متفق عليه، فلا يضطر بذلك إلى حمل ماله معه، وقد

[1] المُد: هو مقدار ملء كلتا البدين المبسوطتين، وقدره جمهور العلماء بحوالي 510 جراماً (جمعة، 2009م، ص ص 19-20).
[2] الصاع :ويساوي أربعة أمداد وقدره العلماء بحوالي 2.04 كيلوجرام (جمعة، 2009م، ص20).
[3] الأوقية: هناك من قدرها بحوالي 37.5 جراماً تقريباً (شترة، 2016م ، ص45).
[4] القنطار: يساوي حوالي 142.8 كيلوجرام (جمعة ، 2009م، ص14).

ISSN 2664-1682

تتم عملية البيع مقابل صكٍ يصرفه صاحبه في مكان متعارف عليه (الختلان، 1992م، ص57)، وقد ذكر ابن حوقل أنه رأى صكاً في مدينة أودغست قيمته اثنان وأربعون ألف دينار، لتاجر من تجار مدينة سجلماسة، واستغرب من هذه الطريقة التجارية بقوله: " وما رأيت ولا سمعت بالمشرق لهذه الحكاية شبهاً أو نظيراً، ولقد حكيتها بالعراق وفارس وخراسان فاستُطرفت " (ابن حوقل، 1992 م، ص96).

وفي القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي أسست أسرة تلمسانية[1]، عرفت بأسرة المقري شراكة تجارية للمتاجرة مع بلاد السودان الغربي، وهم خمسة إخوة توزعوا على الطريق التجاري تلمسان – سجلماسة – أيوالاتن[2]، للتواصل التجاري، وتغطية متطلبات السوق المغربي والسوداني من العرض والطلب (ابن الخطيب، 1994، ج2ص192؛ المقري، 1968، ج5ص205؛ الجمل، 1977، ص145؛ علوي، 1990، ص245).

اشتهرت أسرة المقري بفضل أرباحها التجارية، وتنظيمها، وتمهيدها للطرق الصحراوية، وحفرها للآبار، وقيادتها للقوافل، وعلاقتها الطيبة مع السلاطين المرينيين والزيانيين وبمملكة مالي، فاستمر نشاطها حوالي قرن من عمر الزمان؛ إلى أن دبّ الضعف في جسمها في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، واندثرت بسبب ضياع رأس مالها من سوء تدبير ورثتها، وتغيير طرق التجارة الرئيسية الرابطة بين المغرب الأقصى والسودان الغربي،وبسبب انعدام الأمن، وظهور المنافسة التجارية للسلع المصرية في السوق السودانية كزبائن جدد (ابن الخطيب، 1974 م، ج2 ص ص192-

[1]نسبة إلى مدينة تلمسان في الجزائر الآن، وهي مدينة ساحلية قديمة من بلاد المغرب الأوسط تشتهر بخصوبة تربتها ووفرة مياهها (مجهول، 1985 م، ص176).

[2]أيوالاتن: مدينة من مدن السودان الغربي على الطريق الواصل بين المغرب الأقصى والسودان الغربي، أكثر سكانها من قبيلة مسوفة الأمازيغية (ابن بطوطة، 2003 م، ص369).

ISSN 2664-1682

193؛ علوي، 1990 م، ص249)، هذا وقد ورثَتْ هذه الأسرة إرثاً علمياً طيباً متمثلاً في خزانة كبيرة للكتب(المقري، 1968 م، ج5 ص206).

ومن التسهيلات التجارية إقامة قصوراً في الصحراء من قبل المغاربة استخدمت كمخازن كبيرة لتخزين السلع وتيسيراً للعملية التجارية (الساهري، 2011، ص172)، ونستعرض فيما يلي كيفية التبادل التجاري بين الإقليمين المتجاورين:

5–1– التجارة الصامتة:

وهي طريقة تجارية قديمة ينعدم فيها التعامل النقدي، فيكون التعامل فيها بطريقة المقايضة (التبادل)، وقد وجدت في خمسينيات القرن العشرين صوراً لعربات تجرها الخيول، منقوشة على جبال أفيلال بمنطقة تافيلالت جنوب المغرب الأقصى؛ تبين مدى التقارب والتواصل التجاري بين الإقليمين المتجاورين (علوي، 1990 م، ص226)، ونظراً لعدم الإحتكاكوالإلتقاء بين الأطراف المتاجرة، فقد أقيم لهذه التجارة موقعاً تجارياً لا يتجاوزه طرفي التجار، فبعد أن يصل التجار المغاربة إلى المكان المحدد لتبادل السلع يدقون الطبول للتعريف بوصولهم، ويضع كل تاجر بضاعته في جهة منفردة وينصرفون بعيداً عنها (القزويني، 1998 م، ص19).

بإنصراف التجار المغاربة يأتي تجار السودان، فيضعون بجانب كل بضاعة للمغاربة بضاعة لأحدهم وينصرفون، بعدها يعود التجار المغاربة ويأخذون ما وجد بجانب بضاعتهم من التبر أو غيرها من السلع، ويتركون بضاعتهم وينصرفون، فيأتي عقبهم تجار السودان ويأخذون السلع المتروكة للمغاربة؛ وهي علامة لقبول السلعة، وتتم العملية التجارية دون أن يرى أحدهم الآخر، وإذا لم ترضهم المقايضة تُقام عملية مزايدة في كمية السلعة حتى يتم الرضا، وتتم المبايعة (المسعودي، 1996 م، ص89). بالإضافة إلى التجارة الصامتة كانت هناك طرق أخرى للتبادل التجاري تتمثل في عملية استبدال السلع كلاً حسب حاجته، كذلك التجارة النقدية وتجارة الودع والتجارة بالصكوك النقدية.

ISSN 2664-1682

5. 2 الملح والذهب وأهميتهما التجارية:

يُعد الملح والذهب أشهر السلع الرائجة بين كلا الإقليمين، نظراً لأهميتهما الاقتصادية،وتعد بلدة أوليل على المحيط الأطلسي قرب مصب نهر السنغال أقدم المناطق المنتجة للملح، (ابن حوقل، 1992 م، ص91)، وذكرها الإدريسي أنها جزيرة في البحر تقصدها المراكب لتسويق إنتاجها، ولا يعلم في بلاد السودان ملاحة غيرها (الإدريسي، 2002م،ج1ص17)، وقد استمرت في إنتاجها حتى اكتشاف ملاحة [مناجم] تاتنتال [تغازى] في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي (البكري، 1992م، ج2 ص ص886-867)، فزاد إنتاج الملح نظراً لسهولة استخراجه مدفوناً على هيئة ألواح (علوي، 1990 م، ص228)، ونظراً لعدم كفاية ملح أوليل لسد الحاجة ، ولتميز ملح الصحراء على الملاحات البحرية لصلابته وجفافه وسهولة حمله (الختلان، 1992م، ص50).

يقطع الملح كما تقطع الحجارة ويسمى تاتنتال، وتستخدم ألواحه في كل عمارة البلدة الموجود فيها ويصدر إلي سائر بلاد السودان (البكري، 1992 م، ج2 ص867)، وقد شاهد ابن بطوطة ألواحاً ضخمة من الملح استخرجت من مناجم قرية تغازى استخدمت في بناء بيوتهم ومساجدهم، وكانت قيمتها الاقتصادية تضاهي قيمة الذهب والفضة (ابن بطوطة، 2003 م، ص368).

كان استهلاك أهل السودان للملح كبيراً لكونه يحفظ الماء في الجسم لكلاً من الإنسان والحيوان بسبب الحرّ الشديد الذي تقاسيه المنطقة (مؤنس، 1990 م، ص225)، ووصف الوزان كيفية أكله مع الخبز بأنه مع كل مضغة خُبز يلحسون قطعة ملح كعملية اقتصادية نظراً لقيمته المادية (الوزان، 1983 م، ج2 ص280)، كما استخدم الملح في تجفيف اللحوم والأسماك (الإدريسي ،2002م،ج1ص ص20-21؛عماري، 2010 م، ص45).

ISSN 2664-1682

ويَزخرُ إقليم السودان الغربي بمعدن الذهب الذي فطن العرب لدوره الهام في الاقتصاد العالمي (محمود، 1991 م، ص280)، والذي يوجد متفرقاً في عدة أماكن خاصة في إقليم غانا، مدفوناً في الأرض على عمق قامة أو ما يقاربها من متوسط طول الإنسان،وتساوي حوالي 1,70متراً ، حيث يحفر عنه فيوجد في جنبات الحفر أو مجتمعاً في أسفلها (يحيى، 2010 م، ص32؛ شترة، 2016 م، ص45)، ويوجد بصور أخرى فقد ذكر القزويني أن الذهب في بلاد غانا من أوفر المعادن، ويوجد منه نوعان، الأول موسمي يجمع في زمن الربيع ينبت في الصحراء، وله ورق كالنجيل (العمري، 2010 م، ج4 ص ص45-55؛ القزويني، 1998 م، ص18)، والآخر يوجد على ضفاف مجاري الأنهار، وكلاهما يسميان بـ [التبر] (العمري، 2010 م، ج4 ص55)، وهو الذهب غير المسبوك أو الذهب الخالص (عماري، 2010 م، ص45)، ويوجد الذهب على ضفاف الأنهار كالحجارة والحصى، وعلى مدار السنة، يقوم مستخرجوه بغربلته فيحصلون بذلك على أجرام صغيرة في حجم حبات القمح والشعير ذهباً (الإدريسي، 2002م، ج1ص24؛ ابن سعيد المغربي، 1970 م، ص93؛بتري،2003م،ص648).

تنوعت مصادر الذهب كمصادره المعروفة حديثاً، ولكن ما ذُكر وتناقلته المصادر التاريخية في العصر الوسيط أنه ينبث في الصحراء وله ورق كالنجيل ربما ضرب من ضروب الخيال، فالعلم الحديث بين أن الذهب هو معدن له خواص فيزيائية كباقي المعادن الأخرى (سايمز، 2007، ص59؛ أفندي،2014، ص ص6،10،17،154)، والملحق رقم (7) يوضح أهم الطرق التجارية ،وتركز بعض الخامات في بلاد السودان الغربي.

5. 3 الصادرات المغربية:

تنوعت الصادرات المغربية بين إنتاج زراعي ومواد مصنعة، وقد ذكر البكري المعاصر للقرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي أن التجار المغاربة يجلبون إلى أودغست المنتجات الزراعية المتمثلة في القمح والتمر والزبيب والذرة والملح، والودع بالإضافة إلى المواد المصنعة؛ وأهمها النحاس المسبوك والذهب المصنوع خيوطاً مفتولة، ويتجهزون إلى

ISSN 2664-1682

بلاد السودان بـ[الملح والودع]، والثياب المصبوغة بالحُمرة والزرقة وحلق النحاس، والمصنوعات القطنية (البكري، 1992 م، ج2 ص ص 849 – 850، 854، 877 ، 880).

وذكر الإدريسي المعاصر للقرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي أن أهل المغرب يصدرون الصوف والنحاس والخرز والشب والحناء والتمروالقطن ،ووصف الحركة التجارية لتجار مدينة أغمات[1] بأنهم"يدخلون إلى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال من النحاس الأحمر الملون والأكسية وثياب الصوف والعمائم والمازر،وصنوف النظم من الزجاج والأصداف والأحجار وضروب من الأفاوية والعطر وآلات الحديد المصنوع" (الأدريسي،2002م،ج1ص ص 18،29،226،232).

أما صادرات القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي كانت تتكون من الملح وخشب الأَرَز والصنوبر والخرز[2] الزجاجية والبخور والأصداف وأساور النحاس والخواتم والحلق النحاسية والتاكوت[3] والتمور (القزويني، 1998 م، ص19؛ مجهول، 1985 م، ص222؛ علوي، 1990 م، ص258)، في حين كانت صادرات القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي التين والملح والنحاس والودع (أبو الفداء، د.ت، ج2ص ص96، 259)، وقد ذكر ابن بطوطة في رحلته لبلاد السودان الغربي في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي وصفاً دقيقاً لبعض السلع التي يحملها المسافر لتلك الأصقاع بقوله: " والمسافر بهذه البلاد لا يحمل زاداً ولا إداماً، ولا ديناراً ولا درهماً، وإنما يحمل قطع الملح وحُلي الزجاج الذي يسميه الناس النظم، وبعض السلع العطرية وأكثر ما

[1] مدينة ومحطة تجارية مغربية داخلية، تشتهر بخصوبة تربتها ووفرة مياهها (مجهول، 1985، ص. 207).

[2] الخرز: نوع من أنواع الجواهر يصنع من الزجاج، ويستخدم في أدوات الزينة (الخثلان، 1992م، ص ص55-56).

[3] التاكوت: هو منتوج شجرة الطرفا التي تنمو في منطقتي درعة وسجلماسة بالمغرب، وتصدر لبلاد السودان حيث تستخدم في صناعة ودباغة الجلود،والصوف،وذلك في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي (علوي، 1990 م، ص258).

ISSN 2664-1682

يعجبهم فيها القرنفل والمصطكي وتاسرغنت، وهو بخورهم"، وتستبدل السلع المصدرة بسلع سودانية من منتجاتهم،وذكر منها اللبن والدجاج ودقيق النبق والأُرز (ابن بطوطة، 2003، ص371)، وذكر الوزان أن التجار المغاربة يبيعون لأهل السودان الثياب الأوروبية والنحاس وقطع السلاح الأبيض (الوزان، 1983 م، ج1 ص163).

نقل التجار المغاربة إلى بلاد السودان منتجات زراعية متعددة كالحبوب والفواكه والزيت والسكر والعسل والتمور والفول السوداني والكولا[1] (بلاغ، 2014 م، ص110؛ الختلان، 1992م، ص55؛ عبد، 2010 م، ص52)، فضلاً عن بعض المنتجات الحيوانية كلحم الجمال والشحم المالح [القديد]، إضافة إلى ذلك منتجات حرفية كالبرانس والصناعات الجلدية كالقرب والنعال (بلاغ، 2014 م، ص110).

كانت الصناعات المغربية الحرفية تلقى رواجاً في السوق السودانية، الأمر الذي شجع على التطور الصناعي في المدن المغربية، فوفرت تلك الصناعات للمستهلك السوداني الأدوات الحديدية والنحاسية والزجاجية والملابس والعطور والأسلحة، وظلت السيطرة المغربية على التجارة الصحراوية في عنفوانها ما بين القرنين الرابع والثامن الهجري / العاشر والرابع عشر الميلادي (علوي، 1990م، ص ص263-264).

5. 4 الصادرات السودانية:

كانت حاجة المغاربة إلى الذهب والرقيق لها أثرها في رواج الحركة التجارية نظراً لانخفاض سعرهما مقابل المصنوعات المغربية، وحاجة السوق لهما، واستخدامهما في التجارة الخارجية، وكان الذهب أهم السلع على الإطلاق لاستغلاله محلياً في صناعة الحُلي وضرب النقود، وللتصدير الأوروبي (علوي، 1990م، ص ص263-264).

[1] الكولا: هي عبارة عن شجرة من فصيلة البرازيات، تنتج جوزة الكولا،وهي مادة منبهة للقلب، منبتها الأصلي أفريقيا الاستوائية، ومكانها المناطق الحارة (معلوف،2008، ص 704).

ISSN 2664-1682

ويأتي الرقيق في المرحلة الثانية من حيث الأهمية في الصادرات السودانية، وقد اشتهرت بعض القبائل السودانية بتجارة الرقيق لكونها تجارة تدر عليهم أرباحاً طائلة (علوي، 1990 م، ص267)، وقد ذكر ابن خلدون أن هناك أقواماً وثنيون من أهل السودان يعيشون جنوب نهر النيجر؛ يقال لهم – للم – مشهورين بالوشم في وجوههم وأصداغهم كانوا عرضة لغارات تقوم بها عصابات من الماليين والغانيين يسبونهم ويبيعونهم لتجار النخاسة فيجلبونهم إلى الأسواق المغربية (ابن خلدون، 1984 م، ص93)، وذكر الإدريسي أنهم يصدرون إلى بلاد المغرب الأقصى أعداداً كثيرة منهم (الإدريسي، 2002م، ج1ص ص19،110)، واشتهرت مدينة أودغست المتاخمة لبلاد المغرب الأقصى، والتي يسكنها كثيرٌ من العرب والبربر بتجارة الرقيق، وخاصة الجواري اللواتي وصفن بجمالهن الفائق، ومهارتهن في الطبخ (البكري، 1992،ج2 ص849؛ مجهول، 1985، ص216؛ الحميري، 1984، ص64)، وذكر ابن بطوطة أن أهل مدينة تكدا[1] اشتهروا بالتجارة والمفاخرة بكثرة العبيد والخدم، وفي مدينتي مالي وأيوالاتن يكثر الرقيق فتباع الجواري الماهرات عندهم بأثمان باهضة، وقد رافق قافلة خرجت من تكدا بها حوالي ستمائة عبد متجهة إلى الأسواق المغربية (ابن بطوطة، 2003 م، ص ص381،379).

تميزت بلاد السودان الغربي بسلع أخرى، فيجلب المغاربة من مدينة أودغست العنبر، والذهب الخالص المصنع على هيئة خيوطٍ مفتولة (مجهول ، 1985م، ص216)، ويجلبون من مناطق سودانية أخرى الجلود والعاج والمسك وريش النعام والأسواط المعروفة بذنب الفأر (ابن الخطيب، 1974، ج2 ص192؛ مجهول، 1985، ص214؛ علوي، 1990، ص265).

[1] مدينة سودانية تقع على احدى الطرق التجارية تشتهر بالتجارة، وبخام النحاس (ابن بطوطة،2003م، ص ص379–380).

ISSN 2664-1682

5.5 الأسواق التجارية:

امتازت عدة مدن في كلا الإقليمين بأسواق عامرة كمدينة سجلماسة التي وصفها ابن حوقل بأن بها " تجارة غير منقطعة منها إلى بلد السودان وسائر البلاد وأرباح متوافرة " (ابن حوقل، 1992م، ص96)، ومن وفرة خيراتها وصفها البكري بقوله: " ومن الغرائب عندهم أن الذهب جزاف عدد بلا وزن" (البكري، 1992 م، ج2 ص840)، ووصف البكري مدينة أغمات المغربية بأن بها " أسواق جامعة "، وبها سوق أسبوعي ينصب يوم الأحد من كل أسبوع مكتض وجامع لأصناف السلع (البكري، 1992م، ج2ص843)، ولا تقل مدينة درعة المغربية أهمية عن سابقتيها فهي مدينة أهلة عامرة بها جامع وأسواق جامعة ومتاجر نشطة، ويقام فيها سوقان أسبوعيان، يومي الجمعة والأحد، وكذلك الأمر في مدينة إيجلي[1] التي عرفت بأسواق الرقيق (البكري، ج2 ص ص840،845،854؛ مجهول ، 1985 م، ص206)، وعرفت مدينة فاس [2]بالأسواق الدائمة المتخصصة (شرفي، 2015 م، ص ص19-20).

وفي المقابل وجدت أسواق في العديد من المدن السودانية، كسوق مدينة أودغست الذي وصفه البكري بقوله: " وسوقها عامرة الدهر كله، لا يسمع الرجل فيها كلام جليسه لكثرة جمعه وضوضاء أهله " (البكري، 1992 م، ج2 ص849)، ووصف المراكشي أسواقها بأنها " عامرة الدهر كله " (مجهول، 1985 م، ص215)، وكان من أهم صادراتها التبر والعنبر، ويجلب إليها الفواكه من بلاد السودان والتمور من سجلماسة (الإدريسي، 2002م، ص20؛ مجهول،1985م،ص276)، وتعد مدينة تادمكة أحد المراكز التجارة المجمعة للذرة والحبوب من بلاد السودان، وتعاملها النقدي يتم بواسطة دنانير الذهب الصُلع الغير مختومة (البكري، 1992، ج2 ص880؛ الخثلان، 1992،

[1] إيجلي: مدينة في المغرب الأقصى اشتهرت بالزراعة، وأهم مزروعاتها قصب السكر والنخيل (مجهول ، 1985 م ، ص212).

[2] مدينة مغربية داخلية أسسها الأدارسة زمن الأمير ادريس الثاني في العام 192ه/808م (البكري،1992م،795/2).

ISSN 2664-1682

ص54)، وتحدث البكري أيضاً على السوق الجامع بمدينة يرقي، حيث يجتمع تجار غانة وتادمكة (البكري، 1992، ج2 ص879).

وبهذا نرى مقدار أهمية تلك الأسواق لتسهيل العملية التجارية في تجارة مفتوحة اشترك فيها المسلمون والأفارقة واليهود، والملحق رقم (8)يوضح أهم المدن التجارية في إقليمي المغرب الإسلامي والسودان الغربي.

6. الخاتمة:

إن الترحال عبر الدروب الصحراوية ليس بالأمر الهين؛ فالمسافات بين واحاتها طويلة، وحرارة شمسها وسطوحها قوية، وزمهرير شتائها قاسٍ هذا الأمر جعل من ترحالهم بين كثبانها يتطلب خبرةً لدروبها واستعداداً نفسياً ومادياً، وكميات كبيرة من الماء الذي يتبخر جزءٌ كبيرٌ منه،نظراً لارتفاع الحرارة في تلك الفيافي المقفرة.

كانت المصالح مشتركة بين الإقليمين المتجاورين، الأمر الذي تطلب تبادلاً تجارياً نشطاً وخاصة في معدني الملح والذهب، وكانت عملية التبادل التجاري مفتوحة غير مقيدة بمال؛ أو أن المال كان ينظر له أمراً ثانوياً، فكانت عملية المقايضة للسلع التجارية، وكان التعامل بالصكوك النقدية، واستخدام طريقة تجارية قديمة تعرف بالتجارة الصامتة، لا يرى فيها المستفيدان التجاريان بعضهما البعض، ولهذا لم تقف اللغة ولا النقود ولا لهيب الصحراء وزمهريرها من إقامة علاقات وطيدة بين الإقليمين المتجاورين، كان التبادل التجاري أساسها.

من خلال هذه الدراسة نستنتج مدى اهتمام المغاربة بالتجارة لما تذره من أرباح وتواصل اقليمي مع المناطق المجاورة ،وإعطاء صورة واضحة وجلية ومشرفة للدين الإسلامي متمثلا في خلق التجار المسلمين، فكان من ازدهار وانتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي ،وإقامة جاليات إسلامية فيه،كذلك وضحت الدراسة مدى احتواء غرب أفريقيا

ISSN 2664-1682

لخامات تعد أساس التجارة العالمية، الأمر الذي أثار انتباه الأوروبيين في استعمارها والإستيلاء على ثرواتها.

لقد كان اكتشاف الرحالة المسلمين والتجار المغاربة لبلاد السودان جنوب الصحراء قد سبق الأمم الأخرى لتلك المجاهل، الأمر الذي فتح المجال أمام الحركات الكشفية الأوروبية، واستفادتهم عما قدمه المسلمون بالخصوص ،والإنطلاق على ضوئها في اكتشاف القارة السمراء خدمة لأطماعهم الإقتصادية والتوسعية.

قائمة المراجع

إبراهيم، عبدالله (1998). *الغرّابة*. بيروت: دار الحاوي.

الإدريسي، أبوعبدالله محمد (2002).*نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

أفندي، عمادالدين (2014). أطلس الصخور والمعادن. بيروت: دار الشرق.

أبوخليل، شوقي (2005). *أطلس التاريخ العربي الإسلامي*(ط12). دمشق: دار الفكر.

أبوالقاسم، محمد المصطفى (2016). مصطلح السودان في المصادر العربية والأجنبية. *مجلة الدراسات العليا، جامعة النيلين*، 14، ص ص1-31..

باري، محمد فاضل وسعيد كريدلة (2007). *المسلمون في غرب افريقيا*. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن بطوطة، محمد بن عبدالله (2003). *رحلة ابن بطوطة* (ط2). بيروت: دار الفكر.

البكري، أبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز (1992). *المسالك والممالك*. تونس: الدار العربية للكتاب.

ISSN 2664-1682

بلاغ، عبدالرحمن (2014). الحرف والمهن لمسالك القوافل في المغرب الأوسط: مركز المسالك الصحراوية نموذجاً. *دورية كان التاريخية*.24، ص ص108-113.

بيتري، جاك (2003). *تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى*. مصراتة: الدار الجماهيرية.

جمعة، علي (2009). *المكاييل والموازين الشرعية*. (ط2). القاهرة: دار الرسالة.

الجمل، شوقي عطا الله (1975). الحسن بن محمد الوزان وإنتاجه الفكري والمؤثرات التي تأثر بها. *مجلة المناهل (الرباط)*،2، ص ص. 236-286.

الجمل، شوقي عطا الله (1976). علاقة المغرب بالأقاليم الصحراوية. *مجلة المناهل (الرباط)*، 7، ص ص 132-163.

الجهيمي، حمد محمد (2016). العلاقات التجارية بين مملكة غانا وبلاد المغرب فيما بين القرنين 3-5هـ/9-11م. *مجلة كلية الآداب والعلوم بجامعة عمر المختار*، ص ص1-25.

ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (1998). *تنوير الغبش في فضل السودان والحبش*.الرياض:دار الشريف للنشر والتوزيع.

الحريري، محمد عيسى (1987). *تاريخ المغرب الإسلامي في العصر المريني* (ط2). الكويت: دار القلم.

الحميري، محمد بن عبدالله (1984).الروض المعطار في خبر الأقطار. (ط2). بيروت: مكتبة لبنان.

ابن حوقل، أبي القاسم محمد بن علي (1992). صورة الأرض. بيروت: دار ومكتبة الحياة.

ISSN 2664-1682

الختلان، مسعود بن حمد (1992). دور التجار المسلمين في رواج التجارة بين بلاد المغرب والسودان الغربي فيما بين القرنين الثالث والخامس الهجريين. *مجلة كلية الآداب والعلوم السياسية (جامعة الملك عبدالعزيز)*.9، ص ص41-74.

ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد (1974). *الإحاطة في أخبار غرناطة*. القاهرة: الشركة المصرية للطباعة والنشر.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (1984). *المقدمة*. تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (2005). *المقدمة*. القاهرة: دار ابن الهيثم.

زيادة، نقولا (1991). *إفريقيات: دراسات في المغرب العربي والسوداني الغربي*. لندن: رياض الريس للكتب والنشر.

سالم، (1999). *تاريخ المغرب في العصر الإسلامي*. الأسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

الساهري، مزاحم علاوي محمد (2011). حضارة الصحراء الكبرى من خلال مصادر العصر الوسيط، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، 15، ص ص118-135.

سايمز، ر.ف. (2007). *الصخور والمعادن*. القاهرة: نهضة مصر للطباعة .

ابن سعيد، علي بن موسى المغربي (2002). *كتاب الجغرافيا*. بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع.

شترة، خير الدين (2016). المبادلات التجارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي والسودان الغربي. *دورية كان التاريخية*، 33.ص ص36-47.

شرفي، مونة (2015). *الدروب والمسالك التجارية بين فاس والسودان الغربي في العهد المريني*. (رسالة ماجستير غير منشورة). الجزائر: كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية.

عبد، عباس كريم (2010). الصلاة التجارية بين المغرب والسودان الغربي. *مجلة كلية التربية الأساسية(جامعة بابل)*، 4، ص ص47-57.

ISSN 2664-1682

علوي، حسن حافظي (1990 م). التبادل التجاري بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في العصر الوسيط. *مجلة المناهل*، 39،ص ص 225-277..

عماري، الحسين (2010). العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي في بداية العصر الحديث. *مجلة المؤرخ*، 7.ص ص41-48.

العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (2002). *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*. أبو ظبي:المجمع الثقافي.

الفوتي، عمر بن سعيد (2018). *سيف الحق المعتمد فيما وقع بين الشيخ عمر الفوتي وأحمد بن احمد الماسني*. الجزائر: دار حميثر للنشر.

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (1998). *آثار البلاد وأخبار العباد*. بيروت: دار صادر.

القلقشندي،أحمد بن علي بن أحمد(1915). *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*. القاهرة: دار الكتب الخديوية.

مجهول،مؤلف(1985م).الإستبصار في عجائب الأمصار.الدار البيضاء:دار النشر المغربية.

محمود، منى حسن أحمد (1991). تجارة السودان الغربي قبيل قيام دولة المرابطين في القرن الخامس الهجري. *مجلة المؤرخ المصري*، 7، ص ص241-302.

المسعودي، أبوالحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (1996 م).*أخبار الزمان*. بيروت: دار الأندلسي.

معلوف، لويس وآخرون (2008). المنجد في اللغة والإعلام (ط43). بيروت: دار المشرق.

المقري، أحمد بن محمد بن علي (2008). *المصباح المنير*. القاهرة: دار الحديث.

ISSN 2664-1682

المقري،أحمد بن محمد (1968 م). *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*. بيروت: دار صادر.

مؤنس،حسين (1980 م). *ابن بطوطة ورحلاته*. القاهرة: دار المعارف.

مؤنس، حسين (د.ت). *معالم تاريخ المغرب والأندلس* (ط5). القاهرة : دار الرشاد.

الوزان، الحسن بن محمد (1983). *وصف أفريقيا*(ط2). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

يحيى، حمزة (2010 م). ذهب السودان الغربي في أوج استغلاله في العصر الوسيط.*مجلة المؤرخ*، 7.ص ص32-35.

ISSN 2664-1682

الملاحق

ملحق رقم (1) أقاليم السودان وشبكة الطرق الواصلة شمال أفريقيا (أبوخليل، 2005م ، ص74)

ملحق رقم (2)

الطريق الساحلي [سجلماسة–أوليل– غانا](علوي ، 1990م ، ص229)

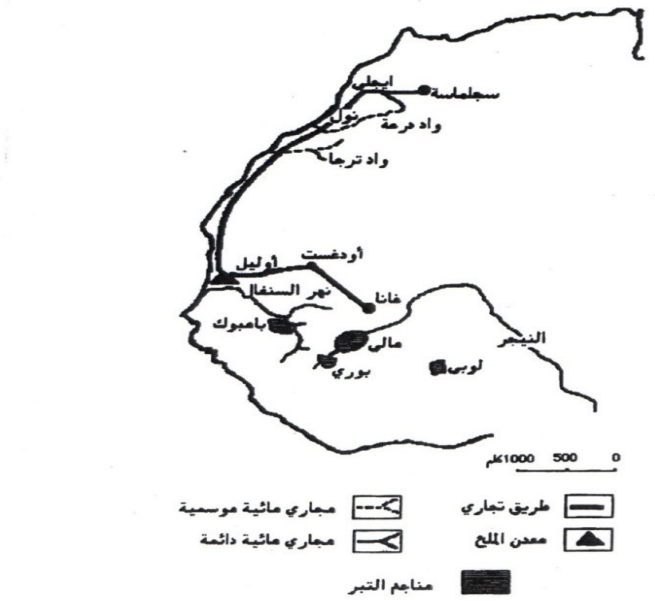

ISSN 2664-1682

ملحق رقم (3) طريق سجلماسة– وادي درعة – غانا(علوي، 1990م،ص236)

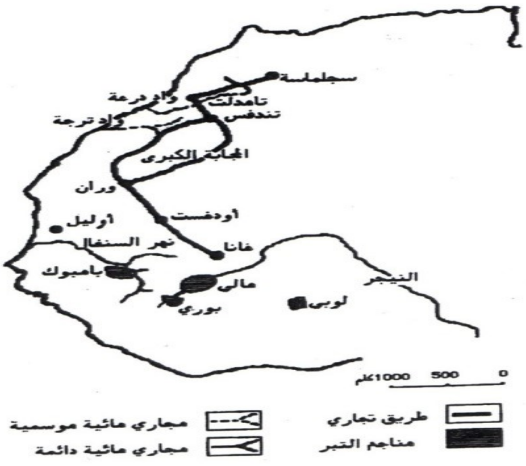

ملحق رقم (4) طريق سجلماسة- مالي – غانا (علوي، 1990م، 242)

ملحق رقم (5) أهم المدن في إقليمي المغرب الإسلامي وبلاد السودان والطرق الواصلة بينها(الجهيمي، د.ت ، ص19)

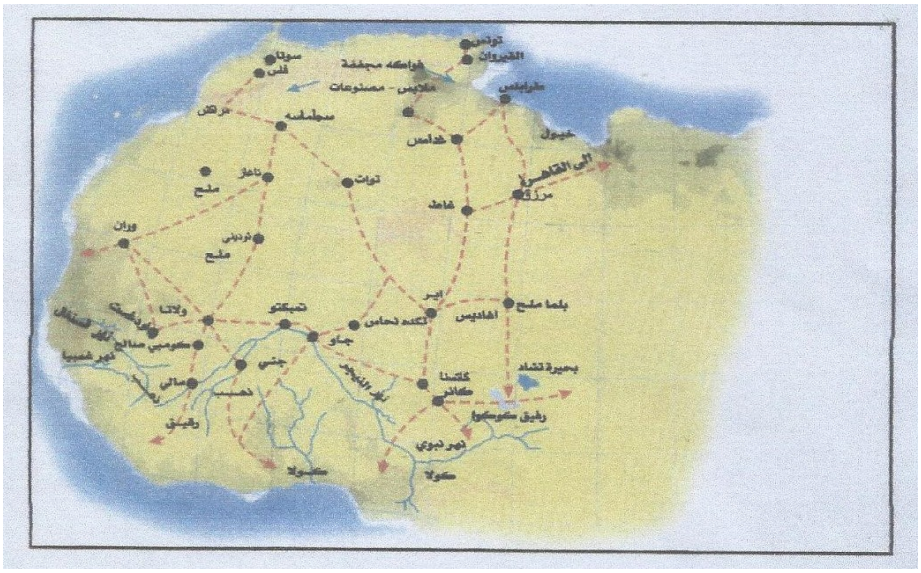

ملحق رقم (6) أهم طرق القوافل التجارية بين بلاد المغرب الإسلامي وغرب أفريقيا [السودان الغربي](الجهيمي، د.ت ، ص20)

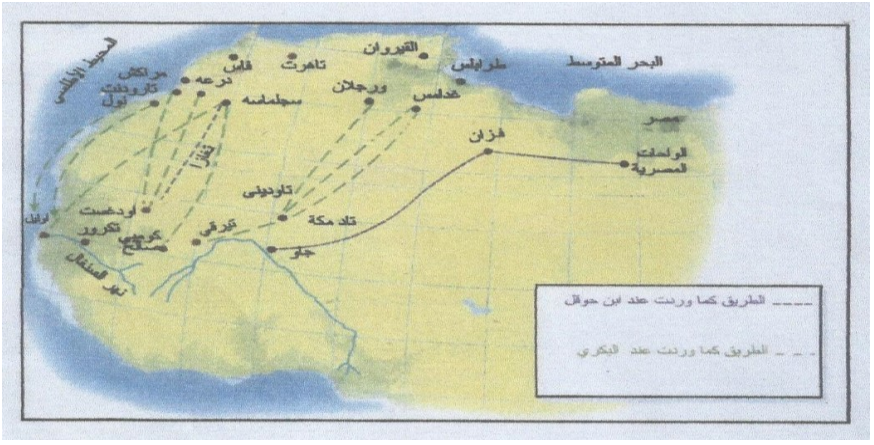

ISSN 2664-1682

ملحق رقم (7) أهم الطرق التجارية وتركز بعض الخامات في بلاد السودان الغربي(زيادة، 1991م، ص393)

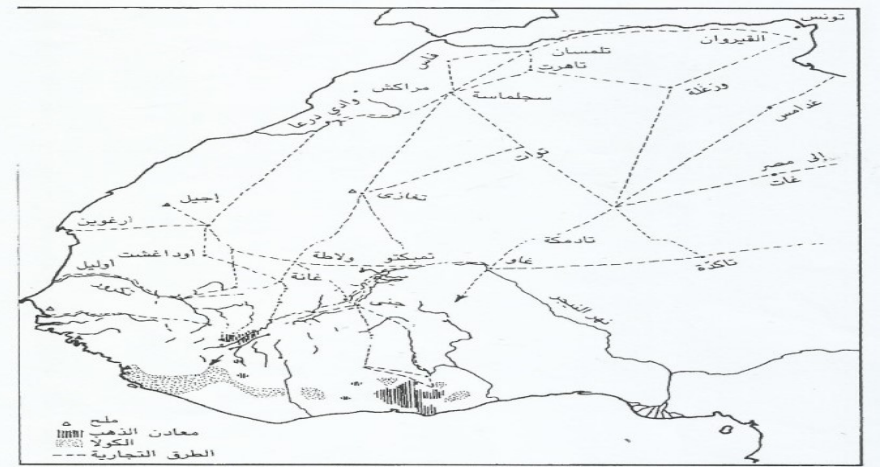

ملحق رقم (8) أهم المدن التجارية في إقليمي المغرب الإسلامي والسودان الغربي(الختلان، 1992م، ص62)

ISSN 2664-1682